صوت الهمزة عند القدماء والمحدَثين

د. شوشة محمد رضا

جامعة الأغواط/ الجزائر

The voice of Hamza in the ancients and modern

Dr. Shousha Mohamed Reda
University of Laghouat / Algeria
redda1985@yahoo.com

Abstract:

This article presents a research problem relating to the voice of the Hamza in the old and modern, and provides an audio approach between linguists, readers and contemporary phonogists, analyzing texts, comparing them and drawing some conclusions.

The article ended with the hardness of the voice of the Hamza, the severity of its pronunciation, and its exit, and concluded to register a discrepancy in the description of Hamza between the ancients and the modern.

Keywords: voice, Hamza, the ancients, modernists.

الملخص:

يطرح هذا المقال إشكالا بحثيا يتعلق بصوت الهمزة عند القدماء والمحدَثين، ويقدم مقاربة صوتية بين اللغويين والقراء وعلماء الأصوات المعاصرين، مع تحليل النصوص ومقارنتها واستخلاص بعض النتائج.

وانتهى المقال إلى عسر صوت الهمزة، وشدة في نطقها، وبُعد في مخرجها، وخلُص إلى تسجيل تباين في وصف الهمزة بين القدماء والمحدَثين.

الكلمات المفتاحية: صوت، الهمزة، القدماء، المحدَثين.

صوت الهمزة عند القدماء والمحدَثين.

يُعد صوت الهمزة في العربية من أهم الأصوات التي حظيت بعناية اللغويين والقراء والباحثين، وأثار هذا الصوت الكثير من الاهتمام والبحث، حتى أُفرد له المؤلفات والدراسات قديما وحديثا.

وقد اتفقت كتب القراءات وعلم الأصوات على بُعد الهمزة وثقلها على اللسان، بل إن كتب المعاجم ذكرت أن مدلولها اللغوي يشير إلى الدفع والتكلف؛ لأنها صوت يُدفع عند النطق به، حتى شُبهت بالتهوع والسعال أحيانا في أدائها.

أفرز هذا الاهتمام بصوت الهمزة إشكالا بحثيا مفاده: هل اتفق القدماء والمحدثون حول صوت الهمزة؟

١- المطلب الأول: صوت الهمزة عند القدماء:

يشير الاستقراء التحليلي أن القدماء والمحدثين لم يختلفوا في بُعد مخرج الهمزة وعمقه وثقله، وإن اختلفت مصطلحاتهم في تسمية حيز الضغط؛ إذِ الهمزة أدخل الحروف صوتا. على أننا سجلنا تباينا جليا في إثبات بعض صفات الهمزة.

وقد ذكر سيبويه (ت: ١٨٠هـ) أن الهمزة بعيدة المخرج، وذكر ثقلها حال خروجها، لكنه لم يذكر حيز الحلق، بل ذكر أنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد[١]. وهو شأن كثير من اللغويين القدماء.

ووصف الطبيب ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ) خروج الهمزة وصفا دقيقا، تبيّن من خلال الوصف شدة الهمزة، وثقلها على النطق والأداء.

يقول: "أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطِّرْجهالي[١] الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة، وضغط الهواء معا"[٢].

١ ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان- الكتاب- تح: عبد السلام محمد هارون- مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- ط: ٣- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م- ٣/ ٥٤٨.

ولعلّ بُعد الهمزة مخرجا جعل كثيرا من العلماء القدماء –أطباء أو لغويين أو قراء– ينسبون مصدر صوت الهمزة إلى الصدر، وفي نصوص ابن سينا وسيبويه ومكي بن أبي طالب(ت: ٤٣٧هـ) وغيرهم، ما يدلّ على هذا الكلام، إلا أن مكيا بن أبي طالب أضاف وصفين هامين للهمزة، وهما: الحرف المهتوف، والجرسي، وقد فصّل مكي الوصفين وشرَحهما.

يقول مكي القيسي: "الحرف المهتوف وهو: الهمزة؛ سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت شديد قوي، والهتْفُ: الصوت الشديد يقال: هتف به، إذا صوّت، وهو في المعنى بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرْسي؛ لأن الجرس: الصوت الشديد؛ فسميت الهمزة بذَيْنِك، لشدة الصوت بها وقوته... لأن الهمزة إذا وقفت عليها لانت وصارت إما واوا، وإما ياءً، وإما ألفا"[٣].

وقد ألحق الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ) الهمزة بالحروف الجوفية الهوائية، فضمّها إلى الواو والياء المديتين، والألف اللينة. وتفرّد الخليل في إلحاق الهمزة بهذه الحروف[٤].

ويمكن القول: إن الخليل لاحظ بعض حالات التخفيف التي آلت إليها الهمزة، فصارت هوائية جوفية. ومرتبة الإبدال في تخفيف الهمزة حجةٌ للخليل في هذا التفرّد.

فإبدال الهمزة الساكنة من جنس حركة ما قبلها، في مثل: "باس"، و"مومن"، و"بير" صيّرها ألفا أو واوا أو ياء، وهي الحيز الهوائي في جهاز النطق.

وقد ذكر ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) مذهب الخليل، وناقشه، ورتب مخارج الأصوت، وجعلها سبعة عشر مخرجا، بدأ بالمخرج الأول وهو: الجوف ثم ذكر آخر المخارج وهو الخيشوم. لكنه جعل الهمزة بَعد مخرج الجوف، أي: في المخرج الثاني وهو أقصى الحلق.

يقول ابن الجزري: "المخرج الأول: الجوف، وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين، وتسمى الهوائية والجوفية... والصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة؛ لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة.

المخرج الثاني: أقصى الحلق وهو للهمزة والهاء. فقيل: على مرتبة واحدة، وقيل: الهمزة أول... "[٥].

وليس ابتداء ابن الجزري بحروف الجوف لأنها الأبعد، بل لعدم انتسابها إلى حيز معين، فهي ليست أبعد من الهمزة ولا قبل مخرج الحلق. وإذا أردنا اعتبار الترتيب في الأحياز النطقية، فمخرج الحلق أبعدها، وأول أصواته الهمزة.

فالحلق يخرج منه أول الأصوات، وله مراتب ثلاث: أقصاه، ووسطه وأدناه، فالهمزة تخرج من أقصى الحلق، وتشاركها الهاء في هذا المخرج إلا أن الهمزة أبعد بقليل، وتتميز الهمزة الساكنة بانطباق الوترين الصوتيين، بخلاف المتحركة التي تكون بانفتاحهما، أما الهاء فتتميز بالانفتاح الجزئي للوترين الصوتيين.

٢– المطلب الثاني: صوت الهمزة عند أهل الأداء:

لعل مبحث الهمزة بأنواعها –المفردة والمقترنة– من أكثر المباحث عناية، وأدقها رواية في كتب الأداء والقراءات المتواترة.

وقد عقد علماء القراءات قديما وحديثا لمباحث الهمز أبوابا خصوه بها، وتتبعوا أحواله مفردا ومقترنا، محققا ومخففا. فلا يخلو كتاب في علم القراءات من ذكر للهمزة وأحكامها، ومذاهب القراء فيها.

---

١ الطرجهالي غضروف من غضاريف الحنجرة. وقد خصص ابن سينا للحنجرة فصلا من رسالته، ذكر فيه تشريح الحنجرة، والغضاريف التي تتركب منها. ينظر: ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله- أسباب حدوث الحروف- تح: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم- سورية- دمشق- مطبوعات مجمع اللغة العربية- ١٤٠٣ه/ ١٩٨٢م- ص: ٦٤-٦٩.

٢ ابن سينا- أسباب حدوث الحروف- ص: ٧٢.

٣ القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها- تح: أحمد حسن فرحات- الأردن- عمان- دار عمار- ط: ٣- ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م- ص: ٣٧، و٣٨.

٤ ينظر: دحماني، أحمد- التوجيه الصوتي والصرفي لتبدلات الهمز في القراءات القرآنية في نظم الشاطبية- رسالة ماجستير- إشراف: خير الدين سيب- الجزائر- تلمسان- جامعة أبو بكر بلقايد- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- نوقشت: ١٤٣٢ه/ ٢٠١١م- ص: ١٤٢، ١٤٣.

٥ ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين- النشر في القراءات العشر- تح: محمد علي الضباع- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ١/ ١٩٩- ٢٠١.

فابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) ذكر مذاهب القراء في الهمزة في مواضع متفرقة[١]، ثم أفرد للهمزتين المجتمعتين في كلمة، ثم المتلاصقتين في كلمتين، ثم ذكر اجتماع استفهامين[٢].

وذكر مكي بن أبي طالب القيسي بابا في الهمزة ضمّنه ستة فصول، الأول: في تجويد اللفظ بالهمزة الملينة بين بين، الثاني: في التحفظ بإظهار الهمزة إذا انضمت مفردة أو انكسرت، الثالث: في التحفظ بلفظ الهمزتين الملينتين قبلهما همزة محققة. الرابع: في إبدال الهمزة الثانية ياء خالصة، الخامس: في الوقوف على الهمزة المتطرف بالسكون، ثم السادس: في التحفظ ببيان الهمزة المكسورة قبلها حرفان مشددان[٣].

وقد وُصفت الهمزة المسهّلة بالحرف المشرب، لكنها لم تنفرد بهذا الوصف، بل يَشْركها فيه حروف أخرى، وقد أطلق عليها أهل الأداء الحروف المخالطة، وهي التي زادتها العرب على التسعة والعشرين، نحو الصاد المشربة بالزاي، والهمزة المسهلة، فهي أصوات مشربة بغيرها، أو مخالطة لغيرها في النطق بها[٤].

أما أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) فقد ذكر في كتاب التيسير: باب ذِكرِ الهمزتين المتلاصقتين في كلمة، باب ذكر الهمزتين من كلمتين، باب ذكر الهمزة المفرد، باب ذكر نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، باب ذكر مذهب أبي عمرو في ترك الهمزة، باب ذكر مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمزة، ثم أورد بابا فيه: ذكر مذهب حمزة في السكوت على الساكن قبل الهمزة[٥].

وخصّص الإمام الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ) في نظم "حرز الأماني" بابين للهمز المزدوج، وثلاثة أبواب للهمزة حال التفرد، واحد منها انحصر في بيان أحوال التخفيف وقفا على الكلمة المهموزة.

ومما يُلاحظ أن الشاطبي جعل أقصى الحلق حيزا لثلاثة أصوات، وذكر مع الهمزة والهاء الألف، فالشاطبي قد أخذ بمذهب المبرد (ت: ٢٨٦هـ) حيث جعل الهمزة والهاء والألف مخرجا واحدا من أقصى الحلق، غير أنه جعل الهمزة أبعد.

يقول المبرد: "اعلم أَنَّ الهمزة حرف يتباعد مَخْرجه عن مخارج الحروف ولا يَشْرَكه في مخرجه شيء ولا يُدانيه إلا الهاء والألف ... فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أَبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك، والمخرج الثاني من الحلق: مخرج الحاءِ والعين"[٦].

ويكاد يتفق مذهب المبرد والشاطبي مع ما ذهب إليه الخليل آنفا، إلا أن الخليل ضم صوت الهمزة إلى الأصوات الجوفية، لكن المبرد والشاطبي ضمّا الألف الهوائية إلى أقصى الحلق مع الهمزة والهاء.

وقد أضاف الشاطبي الألف لأقصى الحلق مخرجا، وأضاف الهمزة لحروف العلة صفة[٧]، ولعل ظاهرة الإبدال في تخفيف الهمزة، هي التي جعلت الشاطبي يُلحق الهمزة بحروف العلة، إذ لم نلحظ إبدالا للهمزة غير حروف العلة.

هذا التقارب الصوتي عند الشاطبي بين الهمزة والألف، أشار إليه بعض القدماء وأثبتوه صوتا وصورة، فابن جني يرى أن الألف صورة للهمزة، وإنما لم تستقر الهمزة على رسم معين لأجل حصول التخفيف.

يقول ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): "اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كتبت الهمزة واو مرة، وياء أخرى، على مذهب أهل الحجاز في التخفيف"[٨].

---

١ ينظر: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي- كتاب السبعة في القراءات- تح: شوقي ضيف- مصر- القاهرة- دار المعارف- ص: ١٣٠، و١٥٣- ١٥٧، و٢٠٧، و٣٤٦، و٤١١.

٢ ينظر: ابن مجاهد- كتاب السبعة في القراءات- ص: ١٣٠- ١٣٢، و١٣٤- ١٤٣.

٣ ينظر:: القيسي- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة- ص: ١٤٥- ١٥٤

٤ ينظر: القيسي- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة- ص: ١٣٠.

٥ ينظر: الداني، أبوعمرو عثمان بن سعيد الأندلسي- التيسير في القراءات السبع- تح: أوتو تريزل- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط: ٢- ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م- ص: ٣١- ٤١، وص: ٦٢.

٦ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد– المقتضب- تح: محمد عبد الخالق عظيمة- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ١/ ١٥٥، و١٩٢.

٧ الشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف- متن الشاطبية المسمى: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع- ضبط وتصحيح ومراجعة: محمد تميم الزعبي- سورية- دمشق- دار الغوثاني للدراسات القرآنية- ط: ٦- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م- ص: ٩٣.

٨ ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي- سر صناعة الإعراب- تح: حسن الهنداوي- سورية- دمشق- دار القلم- ط: ١ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م- ١/ ٥٥.

هذا من حيث الصورة، أما من حيث الصوت، فيذكر ابن جني أن كل حرف تسميته في أوله، فإذا قيل جيم فأوله: ج، وأول الحاء: ح، وأول الدال: د، فإذا قيل: ألف فأولها همزة، وهذه قرينة تثبت التقارب الصوري والصوتي بين الهمزة والألف[١].

والهمزة عند الشاطبي والقدماء –لغويين وقراء– مجهورة[٢] شديدة، وقد ذكر الشاطبي حروف الهمس، ففُهم الجهر في الحروف المسكوت عنها –ومنها الهمزة– من خلال معنى الضد.

أما صفة الشدة[٣] فقد ذكرها صراحة. يقول الشاطبي:

فَمَهْمُوسُهَا عَشْرٌ "حَثَثْتُ كِسْفَ شَخْصِهِ" *** "أَجَدَّتْ كَقُطْبٍ" لِلشَّدِيدَةِ مُثِّلَا[٤]

وضابط الهمس والجهر عند المتقدمين جريان النفَس وعدمه حال الضغط على الحرف، وهو معنى مخالف تماما عند المحدثين، مما جعل وصف الهمزة بصفة الجهر أو الهمس محل اختلاف بين القديم والحديث.

ويمكن اعتبار نصوص القدامى حول الهمزة متقاربة الوصف، مع اتفاقهم في عسر النطق، وشدته وثقله.

٣– المطلب الثالث: صوت الهمزة عند المحدَثين:

بالنظر إلى الدرسات الصوتية الحديثة فإننا نسجّل اختلافا بعض الشيء عما ذكره القدامى حول الهمزة وما يتصل بها.

حيث أثبتت الدراسة الصوتية المخبرية أن المصدر الأساسي لمعظم الأصوات هو الحنجرة، فهي تحتوي على أجزاء أساسية لإنتاج الصوت أهمها الوتران الصوتيان[٥].

وكثيرا ما توصف الهمزة عند المحدَثين بالحنجرية نسبة إلى خروجها من الحنجرة، وهي أقصى مواضع النطق في الجهاز الصوتي عند الإنسان[٦].

فالحنجرة عند المحدَثين هو حيز الحلق عند القدماء، والاختلاف في الاصطلاح يرجع إلى بُعد الحيز؛ لصعوبة ملاحظته، وتحديد المخرج. وليس في اختلافهم الاصطلاحي أي أثر أدائي من حيث المخرج.

"ولقد أثبتت التجارب المعملية لتحليل الأصوات أن الحلقيات والحنجريات Pharyngeals and Glottals وهي الهاء والحاء والعين والهمزة، والتي تمتاز عن بقية السواكن بمواضع نطقها العمودية، ويعرف موضع النطق العمودي بأنه: مجموعة مواقع الأعضاء الممتدة من الغار Palate إلى لسان المزمار Glottis وما بينهما، وفي المقابل فإن موضع النطق الأفقي هو: الممتد من الشفتين إلى اللهاة Uvula وما بينهما"[٧].

– السِّمات الصوتية للهمزة عند المحدَثين:

وَسَمت الدراسات الحديثة صوت الهمزة بالانفجاري، وهذا الوصف وحده كفيل بثقل هذا الحرف وشدّته.

فالانفجار" من الملامح التي تمنح الصوت اللغوي قوة في حدّ ذاته، فيتميز به ظاهرا بين الأصوات الأخرى، وهو ملمح يحمل في اسمه مدلوله العلمي، الذي يوحي بشدّة حامل هذا الملمح، ألا وهو ملمح الانفجار"[٨].

---

١ ينظر: ابن جني- سر صناعة الإعراب- ١/ ٥٥.

٢ الجهر ضد الهمس في الأداء وهو: "انحباس جريان النفَس عند النطق بالحرف لقوته، وقوة الاعتماد عليه في مواضع خروجه". عبد المنعم، محمود بن محمد- الروضة الندية شرح متن الجزرية- تصحيح وتعليق: السادات السيد منصور- مصر- القاهرة- المكتبة الأزهرية- ط: ١- ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م- ص: ٣٤.

٣ الشدة ضد الرخاوة وهي: "انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف، وذلك لكمال قوة الاعتماد على المخرج". الجرمي، إبراهيم محمد- معجم علوم القرآن- سورية- دمشق- دار القلم- ط: ١- ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م- ص: ١٧١.

٤ الشاطبي- حرز الأماني- ص: ٩٢.

٥ ينظر: فضيلة مسعودي- دراسة مخبرية للأداءات الصوتية في القراءات القرآنية- أطروحة دكتوراه- إشراف: محمد غيتري- الجزائر- تلمسان- جامعة أبو بكر بلقايد- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- نوقشت: ٢٠١٣/ ٢٠١٤- ص: ١٣٦.

٦ ينظر: كمال بشر- دراسات في علم اللغة- مصر- القاهرة- دار المعارف- ط: ٩- ١٩٨٦م- ص: ١١١.

٧ دحماني، أحمد- التوجيه الصوتي والصرفي لتبدلات الهمز في القراءات القرآنية في نظم الشاطبية- ص: ١٦٢.

٨ مهدي عناد أحمد قبها- التحليل الصوتي للنص: بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجا- رسالة ماجستير- إشراف: محمد جواد النوري، فلسطين، نابلس- جامعة النجاح الوطنية- كلية الدرسات العليا- قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١١م- ص: ١٥.

ووصَف كمال بشر خروج الهمزة بالصوت الانفجاري، وذكر آلية خروج صوت الهمزة، وذلك بانطباق الوترين وحبس الهواء، ثم انفتاحهما بقوة لإحداث صوت انفجاري.

يقول كمال بشر: "الهمزة –في رأينا– صوت صامت حنجري، وقفة انفجارية، ويطلق عليه في الإنجليزية: glottal stop أو glottal catch والفرنسية: Coup de glotte.

ويتم نطق هذا الصوت بأن تسدّ فتحة المزمار The glottis الموجودة بين الوترين الصوتيين the vocal chords، وذلك بانطباق هذين الوترين انطباقا تامّا وحبس الهواء خلفهما، بحيث لا يمرّ من الحنجرة إلى الحلق وما بعده، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثا صوتا انفجاريا"[١].

وعلى دقّة وصْف كمال بشر لصوت الهمزة ووَجاهَته، لكنه أهمل حال الوترين الصوتيين من حيث التذبذب، فقد وصف حالتهما انطباقا وانفراجا، وذكر أنه قصد هذا الإهمال.

يقول: "وهذا الإهمال مقصود، حيث إن وضع الوترين الصوتيين –حال النطق بالهمزة– لا يمكن وصفه بالذبذبة أو عدمها. فالوتران مغلقان إغلاقا تاما، فلا ذبذبة، ولا مجال لخروج الهواء من بينهما كذلك –في نظرنا– ومن ثَم جاز لنا أن نهمل هذا الاعتبار الثالث نهائيا"[٢].

ويكاد يقترب وصْفُ كمال بشر مع وصْفِ عبد الصبور شاهين للهمزة، فقد ذكر انطباق الوترين الصوتيين فيحتبس الهواء داخل الحنجرة، ثم يخرج دفعة واحدة على صورة انفجار.

يقول عبد الصبور شاهين: "أما الوصف العلمي للصوت الهمزة فهو أنه ينتج من انطباق الوترين الصوتيين –الغشائيين–، والغضروفين الهرميين– في الحنجرة– انطباقا كاملا وشديدا، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا، فيحتبس داخل الحنجرة، ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار، فهو من الناحية العضوية، صوت انفجاري شديد"[٣].

وبإهمال التذبذب في الوترين الصوتيين عند كمال بشر وعبد الصبور شاهين، فإنه لا يمكننا وصْف صوت الهمزة بالهمس أو الجهر.

كما لا يمكننا وصْف الهمزة بالهمس نتيجة عدم الجهر وإهمالِ التذبذب، فالهمزة لها وضع خاص في الوترين الصوتيين مقابل الهمس والجهر.

يقول كمال بشر: "ومعنى ذلك: أن للأوتار الصوتية –في نظرنا– ثلاثة أوضاع رئيسية في الكلام العادي: وضع لها حالة الجهر، وآخر حالة الهمس، وثالث عند النطق بالهمزة العربية"[٤].

ولا مانع من إحداث مرتبة بينية لصفتي الجهر والهمس، وإن لم تذكرها كتب اللغة والأداء. وهذه البينية ليست لحرف من حروف الهجاء سوى الهمزة، وهي تشبه إلى حد كبير الصفة البينية لحروف: "لن عمر" فهي بين الشدة والرخاوة.

ويُشار إلى أنه لا يمكن ملاحظة التذبذب بأي حال في الوترين الصوتيين، فوصْفُ الهمزة بالوقفة الانفجارية، يجعل الوترين الصوتيين في حالة انطباق تام، وهي حالة يستحيل فيها التذبذب.

يقول كمال بشر: "وقفة انفجارية Plosive Stop... إن الهمزة لا تكون مجهورة بحال من الأحوال، لاستحالة ذلك الأمر استحالة مادية، بسبب انطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما حال النطق بها، ومن ثم ليس من الممكن أن تحدث ذبذبة للأوتار من أي نوع كانت هذه الذبذبة"[٥].

١ كمال بشر- دراسات في علم اللغة- ص: ١٠٩.
٢ كمال بشر- دارسات في علم اللغة- ص: ١١٠.
٣ شاهين، عبد الصبور- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث- مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- ص: ٢٤.
٤ كمال بشر- دراسات في علم اللغة- ص: ١١١.
٥ كمال بشر- دراسات في علم اللغة- ص: ١١١.

فالإجماع حاصل بين القدامى والمحدَثين على أن الهمزة حرف شديد مستثقل بعيد المخرج. غير أنهم اختلفوا في صفتي الجهر والهمس في الهمزة؛ إذ يرى علماء اللغة والقراءات أن الهمزة حرف مجهور شديد، أما المحدَثون فيرونها حرفا انفجاريا لا مهموسا ولا مجهورا.

ويمكن ملاحظة أن صفتي الجهر والهمس في الحروف ارتبطتا عند القدماء بجريان النفَس، بخلاف المحدَثين الذين ربطوا الهمس والجهر بوضع التذبذب في الأوتار الصوتية. وقد ترتب على هذا التباين اختلافهم في وصف الهمزة، وإثبات أو نفي الجهر والهمس فيها[١].

ولعل تقارب الهمزة مع الألف عند المبرد وابن جني والشاطبي وغيرهم من القدماء جعلهم يصفون الهمزة بالجهر.

أما تمّام حسان فقد أثبت صفة الهمس للهمزة، وربط كلام القدماء بالمحدثين في وصف الهمزة، ويذكر أنها مهموسة نتيجة إقفال الأوتار الصوتية، لكنها قد تكون مجهورة حال التسهيل وهي الحالة التي لا يكون فيها انطباق الوترين انطباقا تاما.

يصف تمام حسان الهمزة فيقول: "صوت حنجري مهموس مرقق، يتم نطقه بإقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاما، وحبس الهواء خلفها، ثم إطلاق الهواء بفتحها فجأة. ويطلق على هذا الصوت عادة الاصطلاح: وقفة حنجرية:.glottal stop وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من إقفال الأوتار الصوتية معه، حيث لا يسمح بوجود الجهر في النطق... وهو أمر مستحيل استحالة مادية ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة في أثناء النطق. ولكن هذا الصوت قد يأتي مسهّلا؛ أي أن إقفال الأوتار الصوتية قد لا يكون تاما حين النطق به، بل يكون إقفالا تقريبيا. وفي حالة التسهيل هذه يحدث الجهر، ولكن المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية، بل تضييق حنجري أشبه بأصوات العلّة منه بهذا الصوت"[٢].

أما صفة الشدة في الهمزة فهي محل اتفاق بين القدامى والمتأخرين، غير أنه سُجّل اختلاف في اصطلاح الصفة، فالشدة عند القدامى هي الوقفة الانفجارية عند المحدثين.

يقول كمال بشر: "أما وصف الهمزة بأنها صوت شديد فيمكن أن يعدّ وصفا صحيحا ودقيقا في احتمال واحد. ذلك إذا أخذنا المصطلح: "شديد" على أنه يعني ما نعنيه بالمصطلح الحديث: "انفجاري" أو "وقفة انفجارية". والحق أن كلام علماء العربية في هذا الشأن يوحي في عمومه بهذا التوافق. فعلى الرغم من صعوبة التعريف الذي قدّموه للأصوات الشديدة، فهناك دليل قوي يشير إلى أن فهمهم للصوت الشديد يتفق –في عمومه– مع فهمنا للصوت الوقفة الانفجارية... فالأصوات الشديدة عندهم مجموعة في قولك: "أجدت طبقك"[٣].

١ ينظر: دحماني، أحمد- التوجيه الصوتي والصرفي لتبدلات الهمز في القراءات القرآنية في نظم الشاطبية- ص: ١٥٤.
٢ حسان تمام- مناهج البحث في اللغة العربية- المغرب- الدار البيضاء- دار الثقافة- ١٩٨٦م- ص: ٩٧.
٣ كمال بشر- دراسات في علم اللغة- ص: ١١٣.

الخاتمة:

تشير هذه النصوص –قديمة وحديثة– إلى صعوبة تحديد الهمزة ووصفها، لبُعدها وعمق خروجها، وقد تجلّى بوضوح اختلاف العلماء في وصف الهمزة، بل وفي مخرجها أحيانا.

ويمكننا ملاحظة اختلاف وصف الهمزة بين القديم والحديث بوضوح، ومردّ هذا الاختلاف يرجع إلى التطور اللغوي والعلمي، مما جعل ملاحظة هذا الحرف أسهل وأيسر، بل وأدق أحيانا عند المحدثين من خلال الدراسات المخبرية والتشريحية.

وقد أثبت استقراء نصوص القدامى والمحدثين تباينا جليا في وصف الهمزة، ويبدو أن اختلاف التخصصات له بالغ الأثر في هذا التباين، فكل مجال له آليته الخاصة التي بها تتم معالجة هذا الحرف وملاحظته.

فأهل الطب عالجوا الهمزة بتشريح الحنجرة وأجزائها، وأهل اللغة تتبعوا الهمزة نحوا وصرفا، وأهل الأداء لاحظوا مخرج الهمزة محققة أو مخففة، أما علماء الأصوات فقد تتبعوا حالة الوترين الصوتيين في الهمزة وباقي مراتبها، وتبعهم بعض المستشرقين ممن عنوا بالدراسات الصوتية العربية.

وقد أشار التحليل إلى تسجيل تباين في صفتي الجهر والهمس في الهمزة؛ ذلك لأن ضابط الهمس والجهر عند المتقدمين يختلف عن المتأخرين.

فالهمس والجهر عند المتقدمين مرتبطان بجريان النفَس وعدمه حال الضغط على الحرف، أما المحدثون فقد ارتبط الهمس والجهر عندهم بحال الأوتار الصوتية.

ففي حال تحقيق الهمزة فإن الوترين الصوتيين في حالة انطباق تام، وهو وضع يستحيل فيه ملاحظة التذبذب؛ لذا فإن الهمزة وُسمت بالوقفة الانفجارية.

وربط تمام حسان وصف القدماء بالمحدثين فرأى أن الهمزة مهموسة نتيجة إقفال الأوتار الصوتية، ومجهورة إذا كانت مسهّلة، وهو رأي تؤيده النصوص اللغوية، والروايات الأدائية، والبحوث الصوتية الحديثة.

ويقودنا رأي تمام حسان إلى استخلاص مرتبة وسطى للهمزة بين الجهر والهمس، لم ترد في كتب أهل الأداء، وهي المساحة التي يلتقي فيها قول القدماء مع المحدثين، وقد ذكرها كمال بشر في تحليله لصفات الهمزة.

قائمة المصادر والمراجع:

١- الجرمي، إبراهيم محمد- معجم علوم القرآن- سورية- دمشق- دار القلم- ط: ١- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢- ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين- النشر في القراءات العشر- تح: محمد علي الضباع- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية.

٣- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي- سر صناعة الإعراب- تح: حسن الهنداوي- سورية- دمشق- دار القلم- ط: ١ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤- حسان تمام- مناهج البحث في اللغة العربية- المغرب- الدار البيضاء- دار الثقافة- ١٩٨٦م.

٥- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي- التيسير في القراءات السبع- تح: أوتو تريزل- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط: ٢- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦- دحماني، أحمد- التوجيه الصوتي والصرفي لتبدلات الهمز في القراءات القرآنية في نظم الشاطبية- رسالة ماجستير- إشراف: خير الدين سيب- الجزائر- تلمسان- جامعة أبو بكر بلقايد- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- نوقشت: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٧- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان- الكتاب- تح: عبد السلام محمد هارون- مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- ط: ٣- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨- ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله- أسباب حدوث الحروف- تح: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم- سورية- دمشق- مطبوعات مجمع اللغة العربية- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
٩- الشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف- متن الشاطبية المسمى: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع- ضبط وتصحيح ومراجعة: محمد تميم الزعبي- سورية- دمشق- دار الغوثاني للدراسات القرآنية- ط: ٦- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
١٠- شاهين، عبد الصبور- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث- مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي.
١١- عبد المنعم، محمود بن محمد- الروضة الندية شرح متن الجزرية- تصحيح وتعليق: السادات السيد منصور- مصر- القاهرة- المكتبة الأزهرية- ط: ١- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٢- فضيلة مسعودي- دراسة مخبرية للأداءات الصوتية في القراءات القرآنية- أطروحة دكتوراه- إشراف: محمد غيتري- الجزائر- تلمسان- جامعة أبو بكر بلقايد- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- نوقشت: ٢٠١٣/ ٢٠١٤.
١٣- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها- تح: أحمد حسن فرحات- الأردن- عمان- دار عمار- ط: ٣- ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.
١٤- كمال بشر- دراسات في علم اللغة- مصر- القاهرة- دار المعارف- ط: ٩- ١٩٨٦م.
١٥- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد- المقتضب- تح: محمد عبد الخالق عظيمة- لبنان- بيروت- عالم الكتب.
١٦- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي- كتاب السبعة في القراءات- تح: شوقي ضيف- مصر- القاهرة- دار المعارف.
١٧- مهدي عناد أحمد قبها- التحليل الصوتي للنص: بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجا- رسالة ماجستير- إشراف: محمد جواد النوري- فلسطين- نابلس- جامعة النجاح الوطنية- كلية الدرسات العليا- قسم اللغة العربية وآدابها- نوقشت: ٢٠١١م.